



بلوتو

للسياسة العالمية . ويجب أن نذكر هنا أن السياسة كانت تشمل أيام الدكتور غلوتس جميع مرافق الحياة ، ونيس الحياة الإنسانية فحسب ، بل كل الحياة ، الحياة في الكون . ولهذا فإنهم كانوا يكتبون كلمة « السياسة » بشكل بارز دائما . لكن المسابقة لم تكن تنض بالطبع على أن يكون هذا « المبدع » زجاجة من العصير الكيميائي الذي يتولد من تلقاء نفسه ولا ينفد أبدا . لا بل أن هناك فقرة في المسابقة تخصصت لنفقات هائلة لاجهزة كاملة تقام على اراض واسعة وضعت خصيصا تحت تصرف المتسابقين . غير أن الدكتور غلوتس كان هو الوحيد الذي سخر من تلك الفقرة ومن جميع الخيرات التي كانت تنعم بها ، وعهد بامر نفسه الى عمقيرته والى عبقريته وحسب ، وكانت ثقته به عظمة لا تحدها حدود .

بعد ان مرت تلك الايام ، ومرت تلك الليالي التي صرّتها الدكتور غلوتس في عمل دقيق وهو يفكر ويفكر ، يحك رأسه ، يلوح بيديه في الفضاء ، يضرب بقبضته على الطاولة ، يتناهب من حين لآخر ، لكن بصورة نادرة جدا ، بعدها ، نهض الدكتور غلوتس وذهب من جديد نحو انافاذة . وبما أن السماء لم تكن تمطر في حينها ، بل كانت هناك على العكس من ذلك شمس رائعة ، فان الدكتور غلوتس حملق في هذه بحق وعاد ليتناول زجاجته . ضغط على جهاز البخ بعض الشيء و « بفففففف » ، ثم تقدمت غيوم كثيفة وغابت الشمس في الحال . شعر الدكتور غلوتس بالارتياح . لكنه ما ان فرك يديه مسورا ونظر الى الشارع في الاسفل ، حتى رأى عجوزا تمشي ببطء شديد وهي تستند الى عكازها . ولم يتردد الدكتور غلوتس لحظة واحدة . ضغط من جديد على زجاجته ، فاستقام ظهر العجوز في الحال ، وبدأت تجري ، وهي تلتفت يمنة ويسرة ، مدهوشة لما جرى . وتابعتها الدكتور غلوتس برهة بنظرة ، ثم عاد لامباليا الى مخبره . عندما رأى مذكرته على الطاولة وتصفحها قليلا لاحظ أن القدر هو آخر موعده لتقديم طلب المسابقة مرفقا بتقرير عن نتائج الأبحاث . لذلك فان الدكتور غلوتس سارع وصب العصير الكيميائي في قارورة أنيقة وذهب في الصباح التالي بسرعة بالغة الى قصر المسابقات . قدم كل المواد المطلوبة وأخلط ببقية المتسابقين وهو يحاول التقاط بعض الكلمات حول نتائج الأبحاث التي قاموا بها . ولم يمض وقت طويل قبل ان يتأكد الدكتور غلوتس ان آيا من الاختراعات الأخرى لم يبلغ جزءا ضئيلا من النتيجة التي توصل هو اليها . بعد ساعات قليلة بدأ الأذن ينادي المتسابقين وفق تسلسل الأحرف الأبجدية لاسمائهم ليدخلوا في

نهض الدكتور غلوتس (X) وترك مخبره بعد مئة وثلاثة وثلاثين يوما من الأبحاث المتواصلة ، فاتجه نحو نافذة مكتبه ليرى كيف نهطل الأمطار . لكن الدكتور غلوتس لم يشعر بأي انفعال وهو يرى السماء تمطر على الصورة المحزنة . بل نزل بقبضته وضرب بها صدره المغمم بمسرة الكبرياء ، وعندما ترحلت لهذا نظارته المعدنية الرفيعة على أنفه ، اصلع من شأنها وهو يلقي نظرة تهديد على حبال الماء التي كانت الفيوم تتابع ارسالها ، ثم دمدم بفضب ظاهر وقال : « اني انا من يأمر الان . بوسعي ان احملك على الانقطاع . لكن من الافضل ان ادع هذه الترهات وشأنها ، فلدي أعمال مهمة حقا » . غير ان الدكتور غلوتس احس بالاهانة اذ رأى الأمطار تواصل قرعها على زجاج نافذته وكأنها تتحدها ، فتوجه بوثبة غضب نحو الطاولة حيث كانت جاهدة زجاجة عصيره الكيميائي . تناولها وركب عليها الجهاز الخاص بالبخ . وعاد من جديد نحو النافذة . فتحها وتطلع بسخرية نحو الفيوم . « بفففففف » .. فعل العصير وهو يضيع في الهواء . والغريب ان الفيوم كفت في الحال عن البكاء وتلاشت تاركة المكان لشمس مشرقة اطلت في رأس فيتبدت وكأنها من زجاج قد زرق واحسن تنظيفه . حملق الدكتور غلوتس بالشمس مسورا ، وبما أنه كان على اقتناع بأنها تشكوه ، هز رأسه بحنان وكأنه يقول « العفو ، لا شيء من الواجب » . ثم انه فرك يديه وامر نفسه ، وقال : « والان الى العمل » .

« احس ببعض ألوهن » ، دمدم الدكتور غلوتس وهو يفحص بعض اشياءه في المخبر ، ثم اردف : « ترى ، ما السبب ؟ » . واجاب في الحال : « حسنا ، لنطرد هذا ألوهن » . قالها ثم فتح الزجاجة المذكورة ، وحملها الى تحت أنفه وعب من رحيقها ما تسمح به الشمة . وفي الحال تقريبا استعاد كل نشاطه الذي دعمه خلال كل ابحاثه السابقة .

بيد ان الدكتور غلوتس كان يشعر ببعض الشك بفعالية عصيره الكيميائي النامة . وهكذا فانه قعد مدة متنين وسبعة وثمانين يوما ليكمل اختراعه . اما نيته فكانت الوصول الى ايجاد عصير كيميائي يفلح في فعل أي امر مهما كان . وكان هذا هو الشرط المطلوب للمشاركة في المسابقة التي اعلن عنها رئيس الدوتة من اجل تنظيم المجلس الاعلى

(X) اصل القصة مكتوب باللغة الإيطالية .

عندما حل دور الدكتور غلوتس ، حاول هذا ان يصلح من شأنه ودخل وبه شيء من الهيبة ، بينما كان قلبه يقرع سرورا وخوفا . لكن النهائي الحارة والاهتمام الذي كان للفرابة صادقا والتي اعرب عنها كلها رئيس الدولة ، هدأت من حال الدكتور غلوتس ، لا بل انها جعلته يختال بعض الشيء ، حتى انه شعر في الحال انه اهم من رئيس الدولة بالذات . بيد انها لحظات ضعف انساني ما لبثت ان تلاشت في الحال ، خاصة وان كلامهما اخذ محله ، الرئيس جلس في محل الرئيس والدكتور غلوتس في محل الضيوف من المواطنين العاديين .

لم يهدر الرئيس كثيرا من الوقت بل انتقل في الحال الى الاسئلة وبه فضول عظيم : « تكن عمل هو صحيح ، حقا ، بالفعل ، كل مسا كتبتة في تقريرك ؟ » . غير ان الدكتور غلوتس لم يجب بل ابتسم ابتسامة فيها شيء من التهكم وشيء من الكبرياء وهو يهز برأسه ، ثم سحب من احدى جيوبه القارورة ووضعها على طاولة الرئيس بحركة وانفة فيها نوع من التحدي الودي . اخذ هذا القارورة بيده وشرع يتأملها بدهشة وشك وسرور . ثم انه سال من جديد ، وبصورة تكاد تكون آلية ، وهو ذاهل بعض الشيء : « لكنه .. يبدع .. كل شيء ؟ » . هز الدكتور غلوتس رأسه مرات متتالية مؤكدا الامر بسرور كان يتفاهم . ثم سأل الرئيس من جديد : « والتمرات ... التورتات .. هل .. هل يستطيع التحكم فيها ؟ » . « ان بخة منه تهديء حتى الكوارث الطبيعية : من زلازل ، وبراكين ، وفيضانات ، وعواصف ، وكل ما هنالك منها . ان تهذا العصور تأثيرا غربيا لا يمكن لاي شيء ان يستعصي عليه ، وخاصة وانه يذهب الى جذر الظاهرة ليصححه وفقا لرغبة من يأمر العصور . وقد تأملت كثيرا حول امر ... » ، وواصل الدكتور غلوتس حديثه بعفوية وتطع ضايقا فضول الرئيس المترس . لهذا فقد قاطع حديث محدثه وسأله سؤالا هو على ثقة من جوابه : « اسمع ، وهل بوسع عصيرك هذا ان يحول تيارات الرأي .. » . لكن الدكتور غلوتس اجاب من غير ان يسمع بقية السؤال ، وقال : « .. العام ، السياسي ، الفكري ، بل وحتى الرأي الشعري . يمكنه ايضا ان يغير طرق التفكير واشكاله ، صور الخيال ، والتصورات البصرية للعالم الفيزيائي . كما قلت لك ، انه عصير يتوجه الى جذر الظاهرة ويعدل منه وفق رغبة من يستعمله . يكفي ان يتعلم المرء كيف يوجهه » . وسأل الرئيس : « والابحاث .. » ، فاجاب الدكتور غلوتس بسرعة : « الابحاث الفضائية .. هيه ! طبعاً ، طبعاً .. » .

« اتفقنا ، هذا جيد . اعتقد اني سأعينك رئيسا للمجلس الاعلى . انك تستحق هذا ، تستحقه بالفعل . الان وداعا ، وداعا . سيرافقك سائقي حتى بيتك ، وبسيارة رئاسة الدولة » . وبعد تجربة شكلية للعصير ، نهض الرئيس وحيا الدكتور غلوتس الذي انحنى انحناءات كبيرة ، وكانه روبوت ادير محركه ، شد على يد الرئيس ، عصر من وجهه تعبيراً يدور بين الود المراني والابتسامة الصادقة ، ثم خرج بخطوات تكاد تكون عسكرية ، لانه حار كيف يصرف النشاط السذي بدأ يقلي في خلايا جسمه .

ما ان وصل الى البيت حتى استقبلته القبل والعناق ، من زوجته من اولاده ، من اقربائه ، ومن اصدقائه ، وكانوا قد سمعوا الخبر ذاع في الحال في انحاء الكوكب الارضي جاؤوا للتهنئة . ما ان رأى الدكتور غلوتس زوجته حتى ادشسه انتفاخ بطنها ، لكنها ابتسمت حالا وقالت بدلال : « انه اختراعك ، المبدع ، يا عزيزي » . « طبعاً » ، اجاب الدكتور غلوتس وقد سر لجواب زوجته . « الا تريني آياه ؟ » قالت الزوجة . وفي الحال سحب الدكتور غلوتس زجاجة صغيرة احتفظ بها لنفسه ، وعرضها امام زوجته التي بدأت تتأملها باعجاب ،

لكن الدكتور غلوتس فوجيء بالريح تفتح بعنف بالغ نافذة الصالون حيث كان يروي امام المعجبين مراحل ابحاثه ، ثم انه فوجيء اكثر عندما سمع زوجته تعطس رغم ان الريح هدأت بفعل بخة من عصيره . قالت الزوجة : « لا بد انها الانفلونزا ، يقولون انها وصلت البلاد » . كل هذا من غير ان تفلح بخة اخرى من عصير الدكتور غلوتس في ايقاف تعطيس الزوجة المتواصل . لكن دهشة المفاجأة تحولت في الحال الى قلق عندما بدأ هو بالذات يعطس . ضغط الدكتور غلوتس على الزجاجة ، ثم ضغط عليها من جديد من غير ان يتوصل لاي نتيجة . في النهاية بلغ حلق الدكتور غلوتس حدا كبيرا ، فنزع جهاز انبج عن زجاجة العصير الكيميائي ، وبدأ يصب السائل بشراسة . وما من نتيجة . بل ان التعطيس زاد وبدأ جميع الحضور يلمسون الجباه بأيديهم ليقدروا ما وسهم التقدير درجة الحرارة التي اخترتهم كلهم على حين غفلة . وقال الدكتور غلوتس بصوت واهن فيه كثير من القلق : « انه مجرد زكام » . لكن احد الحضور سأل : « مجرد زكام ، واختراعك المبدع ، اين هو ؟ » . فاجاب الدكتور غلوتس : « هدوا ، هدوا ، لتجرب من جديد » ، بينما الفضب والاحتداد والتقنوط تستولي عليه بالفعل ، ثم انه قلب الزجاجة كلها راسا على عقب وهدر محتوياتها في الهواء . لكن حدقتي الدكتور غلوتس اتسمتا دهشة ورعبا عندما رأى ان عصيره يفور مثلما يفور الماء عندما يقلي . اصابتة أزمة حادة ووقع على الارض وهو يشرح في هذيانه : « لا بد انها فيروسات غريبة حيدت مفعول العصير عندما تلامست مع صيقة (س ز) ، التي يحتويها هسفا العصير ... » . لكن احدا لم يسمع ما كان الدكتور غلوتس يقوله في هذيانه لان اصوات التعطيس كانت صاخبة . وخرج الجميع من البيت وهم على ثقة بان الهواء الصافي سيكون علاجاً فعلا لهذا الزكام المفاجيء والغريب . وبقي الدكتور غلوتس وحده ممددا على الارض ، متخسبا ، وتائها في رؤاه العلمية .

نبيل رضا مهاني

دمشق

مؤلفات هيرت ماركوز

ق.ل.

٤٠٠

الانسان ذو البعد الواحد
ترجمة جورج طرابيشي

٢٠٠

نحو التحرر (فيما وراء الانسان ذي البعد الواحد)
ترجمة ادوار الخراط

٥٠٠

فلسفة النفي
ترجمة مجاهد عبدالمنعم مجاهد

٦٠٠

الحب والحضارة
ترجمة مطاع صفدي

دار الآداب ص . ب ٤١٢٣ بيروت